

# من ثقافة رفض الرأي إلى ثقافة التكفير !!

محمد لواتي

رئيس تحرير يومية المُستقبل المغاربي

الوهّابية أُسّست بالأساس على الدم، وعلى الافتراض الخاطئ لمفهوم الدين، ومبادئ السلف من أمّتنا.. بل إن منطق "ما أريكم إلا ما أرى" هو منطقها ومنطق الفرعونية، تدّعي الانفراد بالإسلام ومُحاربة الشرك، وهي يفتحم الواقع بتفاعلٍ كلاًّي مع القتل لأجل فرض ما هو قائم عليه من طن، هي مذهب سياسي مُتهوّر وليس دينياً، لأنها تدور في نقطة ارتكازٍ واحدة، هي حماية الحكم "السلالي" والقائمين عليه بالاندماج في أخطائهم اندماجاً لا يتواافق لا مع المبادئ التي جاء بها الدين ولا مع ما بقي من الأعراف التي أقرّها القرآن حتى من أعراف الجاهلية .. أية فرقة هذه التي لا يرى أصحابها من سنن الكون والتي هي سنن الله إلا بقايا القبور، وما قامت عليه من شواهد فيقوم بعضها بتحطيمها بل و إخراج حتى مَن في باطنها من عظام و يطْنَّ أن ذلك حرب على الشرك و الدخول في الإيمان، مع أن الذين فتحوا العالم لم يتّجه أي منهم لتحطيم ما هو قائم في الدول المفتوحة من أواثانٍ و تماثيل، ولم يلغوا الكنائس والمعابد، بل لم ينظروا إليها نظرة استهزاء باعتبار أنها واقع لمراحل تاريخية مرّت بها البشرية و تركتها على حالها، واليوم تُنصَّب الأواثان بعد تحريمها لـ 70 سنة بفتاوي وهّابية .. لقد تمّ تنسيب نسخة من "تمثال الحرية" بأمرِ مَلَكِي في جدّة إرضاء لأميركا وتجاوزاً للفتاوى الدينية التي تُحرّم التمثال ، فهل الوهّابيون هم أكثر فَهْماً للدين..؟ أم أنهم مُجرّد رؤوس بشريّة تسير على الأرض بلا مفهوم بشري ولا عقل مثل "داعش" و"النصرة" .. نحن إذن، إمام طاهرة لا يمكن تفسيرها إلا بتفسيرٍ واحدٍ هو أن مُعتقداتها جماعة همّها الوحيد أن تمتلك سدّة الأحادية الفكرية تحت شعارات إسلامية حُرِفت عن مواقفها وأدخلت بها القسوة في ثوبِ ديني ، لا حباً في الدين ولكن حباً في ما يذر من الواقعين خلف الستار من بذور الشر فيها قَصْد الثبات في مواقعهم إلى أن يرثوا الأرض ومان عليها، وهم بالتالي عُصبة أمم جديدة من دون

توافق مع المنظور السياسي المنتج، و من دون منطق ديني..فهم بثقافة الرأي الأحادي انتصروا إلى ثقافة التكبير والثانية أسوأ لأنها تمس الجميع بما فيها الأرض وما فوقها.. ثقافة مرجعيتها سياسة "فرانس تُسُد" لمواجهة الشعوب والأنظمة غير المُتواقة معها أو ما ترمز إليه آنياً أو مستقبلياً.. دُعاة التفكير هنا، إن كانوا سياسيين مثل بندر بن سلطان، أو عسكريين مثل أنور عشقي أو حكاماً كجماعة قطر، والإمارات، أو دُعاة باسم الدين وهم عنه مُبعَدون، مثل محمد العريفى ، أو الداعية السعودى ناصر العمرى الذى أفتى بجواز نكاح الجهاد مع شقيقها وغيرهما وهم كثرا، أنجبوthem سياسة بقايا أشیاه الحُكَّام المُشار إليهم في القرآن الكريم بقوله "بِوَادِنَ مِنْ حَادَةٍ وَرَسُولَهُ" والتحالف مع "ترامب" وهو "عنصرى في الجوهر والأسلوب" كما يقول الغارديان.. كما نود" ألا يكون لدينا في عصر العولمة مثل هذا الفكر لمواجهة العولمة ذاتها كتيار استعبادي، لكن الذين عميت بصائرهم وبصيرتهم، أرادوا ألا يكون للإسلام طابعه الإنساني وأخلاقه التي هي أساسه لقوله - صـ"إِنَّمَا يُعَذِّبُ اللَّهُمَّ إِنَّمَا يُعَذِّبُ الْمُكَارِمِ الْأَخْلَاقَ" ..غير أن التَّرَفَ الذي عاشه أهل البدع ومُؤسَّسو المذهب الوهابي التكفيри على حساب بقية الشعوب الإسلامية أوجب ظاهرة الفساد، وأسوأ فيها سوء فَهُمْ هُمْ لِمُتَغَيِّرٍ في الواقع البشري والديني ، فإذا القتل مبدأ في نظرهم من مبادئ الإسلام (أكثر من عشرة آلاف قتيل في اليمن من دون سبب) و إذا كلمة لا إله إلا الله صارت تُذَكَّر على ما يُناقضها أو يشوّه كل مَنْ ينتمي إليها عربياً كان أم أعمجياً، لم نسمع في الأولين فضلاً عن فُقهاء الإسلام المشهود لهم ما يفيد بوجوب نكاح الجهاد مع الشقيقة ، كما أفتى السفيه "ناصر العمري..." والحقيقة، إننا لم نكن لنُشير إلى مثل هذه البلاهات لأننا نعرف مُسبقاً أن الفكر الوهابي في آخر مراحله ، لأنه في الأصل ليس مذهباً دينياً لأن مؤسسه لم يكن داعية وينقصه الكثير من الفَهْم الصحيح للإسلام ، بل إنه جاء أصلاً لحماية النظام وامتلاك بلاد الحجاز لأسرة ما لها في الدين إلا سفاسفه، وما عليها من مُقدّسات إسلامية، ولذلك كان همّه الوحيد مُحاربة الأضرحة والمقامات، و زَبُوش القبور، وكان الإسلام جاء ليُنادي الأموات و ينزع من على قبورهم شواهدِهم، مع ألا أحد من الفاتحين، صحابة كانوا أو من التابعين ثبت عليهم أنهم هدموا كنيسة أو دمروا تمثالاً ، ولا تزال الشواهد على ذلك حاضرة بيننا اليوم، وأعمدة الفراعنة تؤكّد ذلك.

إذن.. فمن أين جاء الفكر الوهابي بما يقوم به اليوم ، ولماذا ..؟ المفهوم الواحد لذلك هو محاولة تجهيل الناس وإعادتهم إلى سماء الجاهلية، كي تبقى الجاهلية داخل القصور محميّة بفكرٍ مُحاط بها ، و بالتالي ليس

بإمكان أحد مناقشة الفساد الحقيقي والثورة عليه، إنه فكر أيضاً يحتوي من حيث المنشأ على بذور التحالف ولو حتى مع الشيطان ضد كل ناهم بالإسلام من خارج الدائرة الوهابية، و حتى سياسياً يمكن توصيف ذلك واعتبار التحالف القائماليوم ضد سوريا وفلسطين مع أميركا وإسرائيل هو خلاصة ذلك ..لكن كل ذلك سيظل مجرّد فعل لمَن يحفر في الماء، ولن يكون لذلك إلا مجرّد صدى لأفعال لا صلة لها لا بالدين ولا بالسياسة، وفتح المجال للشعوب الدينية هو أيضاً من باب الشعوذة السياسية... هل هناك من إمكانية للأدعاء بأنه يمتلك مفاتيح الجنّة، وهو يعمل بما يخرق كل الطُّرُق الموصولة إليها، ألم يقول الرسول -صـ- لزوال الدنيا أهون عند الله من قاتل نفسه مؤمنة... ، ثم ألم يقول القرآن الكريم "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ فَكَانَ مَأْكُومًا قَتْلَ النَّاسِ جُمِيعًا" ، فأين هؤلاء من القرآن و من السنة دعاة كانوا أم ساسيين، أكد أنَّ مَن يبقى في الحكم لأكثر من أربعين سنة وفي وزارة الخارجية لأكثر من خمسة و ثلاثين سنة، لا يمكنه أن يكون إلا ولِيَاً لغير القرآن وأحكامه، بل لن يكون إلا جباراً في الأرض يُفسِّر ما يراه لصالحه و يأمر بالقتل لكل صاحب رأي مُخالِفٍ لرأيه حتى وإن كان ذلك يفتح أمامه أبواب جهنم قبل الأوان، هذا المنطق المُغاير لكل القَيَّم، فضلاً عن الدين الذي يجعل هؤلاء في صف أبي لهب، فما قاله وزير خارجية البحرين في مَدْحِر إسرائيل والتَّهَمَّم على الفلسطينيين لا أظن ينطق به حتى اعتنى عتاة الجاهلية. في مقابلة مع القناة 13 الإسرائيلية إنه "يريد التحدث مباشرة إلى الجمهور الإسرائيلي " ومثلها السعودية من تحت الطاولة ومن فوقها وهي الغارقة في اليمن حد الانهيار فالخسائر قد لا تحميها من الغرق، إذا لم تقفز من القارب قبل فوات الأوان" بتعبير قاسم عز الدين.

إن الأمّة العربية بما تمتلك على الخارطة السياسية والاقتصادية بإمكانها أن تُقلّل من الأخطار التي تلاحقها، إذا أخذت بمبدأ الإصغاء للرأي العام، فالشعوب التي أطاحت بالطُّاغية في أكثر من مكان في الماضي هي أيضاً اليوم قائمة على إعادة ميزان القوى لصالحها في أية مواجهة، وأن الانتصار إذا أخذناه بالمُسْلَمات الدينية فإنه دائماً للمؤمنين وهذا وعد مؤكّد من الله، وإذا أخذناه بمُسْلَمات التاريخ فإنه لن يكون إلا إلى جانب مَن يعي حقيقة الصراع ويتفهّم جذوره ومقاصده ، وبالتالي لما كانت أمم مغرب وأخرى كبرى.. وعلى الذين يتباوبون مع الواقع بأية سلسة من المُتغيّرات تقع ضمن افتراض الواقع ووفق تصوّر البناء وإعادة البناء لا وفق تصوّر "انا وبعد الطوفان " يتباوبون مع التاريخ في صنع الأحداث .. إن توجيه الحركة نحو المستقبل هي أهم من النظر في الماضي من دون الأخذ بسياقات التاريخ فيه، وأن التغيير صَوْب المستقبل هو إحدى سُنُن الكون، فالمعرفة بدأت هكذا، فنظريات الأمس في الطب والعلوم مثلاً ألغتها النظريات الجديدة بحكم التطور المعرفي، وما كان مُستحيلاً بالأمس صار اليوم مُمكناً ومشاعاً بين الناس بما في ذلك العوام منهم.. وإنه من غير الوعي بحقائق الصراع تحويل الواقع ما يجري عليه من أخطاء من دون وعي أو إدراك للسلبيات التي تنتج منه ، فالأمر خارج الوعي بها ليس متاحاً ، والاختيار بين الحقيقة والأدعّاء من اختيار العقل، أما الأخذ بما يتلاءم مع منطق التجزئية فهو هروب من المواجهة وسوء تحمل للمسؤولية، وهذا ما تعانيه اليوم الأمّة العربية.

